التجديد
المجلد 21، العدد 41 (ب) (2017/1439) 247-282
حقوق الطبع محفوظة لـ IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN 1823-1926 (Print)

معالمُ التَنمية البشريَّة الشَّاملة في ضوءِ السُنَة النَبويَّة

The Criteria of Comprehensive Human Resource Development in the Perspective of the Sunnah

Ciri-Ciri Pembangunan Manusia yang Komprehensif dalam Kerangka Sunnah

أحمد المجتبى بانقا* إسماعيل حاج عبد الله**

ملخص البحث

يسعى البحث إلى ربط قضايا التنمية البشرية بالسنة النبوية أصالةً وتطبيقًا، فالتنمية البشرية حفزت روح التنافس في النهوض الاقتصادي والسياسي والمجتمعي، وهي في منظور الإسلام في حاجة إلى بناء وتطوير متكاملين ماديًّا ومعنويًّا وعلميًّا وإيمانيًّا مما يحفظ لها التوازن والديمومة؛ لذا حوت مرتكزات الدراسة التعريف بمعايير العناية بالإنسان وتهيئته لعمارة الأرض وبناء المجتمعات، وتفعيل معاني المسؤولية المؤسِّسة لمبادئ التنمية البشرية، ومن أهمهما: التعليم والمعرفة، والتخصصية، والولاء، والمثابرة، والأخوة، والتسامح، والغيرة، ومدارسة أبرز معالم التنمية البشرية في دولة الرسول ﷺ التي ارتكزت على الدستور الذي اتسم بالعدالة والرحمة بين كافة أطياف البشر بمختلف أعراقهم وأديانهم ومسمياتهم، والإخاء بين المسلمين، وبناء المسجد منارةً موحدة لأهل القبلة فكريًّا وروحيًّا، وتهدف الدراسة إلى التقعيد لمفهوم التنمية البشرية في الإسلام، وأوجه تطبيقاتها المختلفة بين الأفراد والمجتمعات والمؤسسات؛ لاستشعار واقع الأمة

* أستاذ مشارك بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، البريد الإلكتروني: elmogtaba@iium.edu.my

** أستاذ مشارك بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، البريد الإلكتروني: ismaila@iium.edu.my

المسلمة من التنمية البشرية المعاصرة، وتعيين مواضع الخلل ومعيقات التنمية فيها، وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي لبلورة مفهوم التنمية البشرية وأسسها ومعالمها من واقع الأحاديث النبوية، والمصادر والمراجع ذات الصلة.

الكلمات الأساسية: التنمية، البشرية، الشاملة، معالم، مبادئ.

Abstract

The study attempts to relate the issues of human development with the prophetic tradition by considering its principles and implementations. Human development is the catalyst for competitiveness in economic, political and social development, therefore from the Islamic perspective it requires an integrated development spiritually, materially, faithfully and scientifically to ensure its continuity and sustainability. The foundations of the study consist of the definition of standards of nurturing human and preparing them to reform the world and build societies, activating the meanings of responsibilities based on the principles of human development namely: Education, knowledge, specialization, loyalty, patience, brotherhood, tolerance, eagerness and the study of the most stand out criteria of human development during nationhood of the Prophet PBUH. This can be concluded from the constitution that was just and merciful to all human beings regardless of their ethnicities and titles, the building of brotherhood among the Muslims by constructing the mosque to unite them spiritually and intellectually. The study aims is to fundamentally arrive at foundations of human development in Islam, its various forms of implementation among individuals, societies and corporations to understand the reality of Muslim ummah from the standpoint of contemporary human development and to identity the shortcomings and the obstacles that lie therein. This is library survey of the relevant materials and analysis of textual contents to put forward the concept, basis and criteria of human development from the Prophetic tradition and the relevant resources.

Keyword: Human Resource Development, Comprehensive, Principles, Criteria.

Abstrak

Kajian ini bertujuan untuk menghubungkan isu-isu pembangunan manusia dengan Sunnah Nabawiyah secara teori dan praktikal. Maka pembangunan manusia akan dapat menyalakan semangat persaingan untuk kemajuan ekonomi, politik dan sosial. Oleh itu, dari perpektif Islam ianya memerlukan pembangunan yang holistik dari segi material, moral, ilmu pengetahuan, dan iman yang akan mengekalkan keseimbangan dan kemapanannya. Antara paksi kajian ini ialah definisi tentang piawaian untuk menjaga manusia dan mempersiapkannya utuk menguruskan dunia dan membina masyarakat, menghidupkan erti tanggungjawab untuk prinsip-prinsip pembangunan manusia yang penting antaranya, pendidikan dan pengetahuan, kesetiaan, ketekunan, persaudaraan, toleransi ialah ciri-cri pembangunan manusia paling jelas pada zaman Rasulullah saw. Ianya bertumpu kepada undang-undang yang bercirikan keadilan, belas, dikalangan pelbagai peringkat manusia yang

berbeza bangsa, agama dan nama, pembinaan persaudaraan antara orang Islam dapat kita lihat pada pembinaan masjid yang menyatukan orang Islam secara intelek dan rohani. Kajian ini bertujuan untuk mencipta kaedah konsep pembanguan kemanusiaan dalam Islam serta cara-cara pelaksaan yang pelbagai untuk individu, masyarakat dan institusi untuk memberi kesedaran tentang realiti umat Islam sekarang dan mengenalpasti kelemahan dan halangan. Kajian ini menggunakan kaedah induktif, dekriptif dan analisis untuk membentuk konsep, asas-asas, ciri-ciri pembangunan manuisia yang terdapat dalam hadis nabawiyah serta sumber-sumber lain yang berkaitan.
Kata kunci: Pembangunan Manusia, Komprehensif, Prinsip, Ciri-Ciri.

مقدمة

أضحت التنمية البشرية في الواقع المعاصر أولوية الأمم والشعوب لِمَا لها من أثر في التنمية المستدامة الشاملة والفاعلة بدورها في البناء الحضاري الراشد الذي تتوق إليه المجتمعات البشرية، فهذه التقانة الكونية شجعت روح التنافس في النهوض بمقومات التنمية من اقتصاد، وتعليم، وصحة... إلخ، وبما أن التنمية البشرية هي العمود الأساس في بناء الدول والحضارات وتقويمها، فإن السُّنَّة قد رسمت منهجًا قويمًا في البناء الأممي وتنمية الشعوب،[1] والبحث معنيٌّ بتأصيلٍ تطبيقيٍّ على واقع التنمية البشرية من خلال السُّنَّة، فقد جَسَّدَت دولة رسول الله ﷺ العناية بالتنمية البشرية منهجًا تطبيقيًّا تبنَّاه ﷺ منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية التي اهتمت أولاً بتنمية الفكر وربطه بقضايا الإيمان مما يقوي محفزاته في النهوض بدوره في إسعاد البشرية، قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقد فتح الإسلام المجال للتطور في شتى مناحي الحياة بحيث

[1] قال سيد قطب: "إن المنهج الذي جاء مع محمدٍ ﷺ منهجٌ يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدَّر لها في هذه الحياة...كتابًا مفتوحًا للعقول في مُقْبِل الأجيال شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل... وكفل للعقل البشري حرية العمل بكفالة حقه في التفكير وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر كيما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض... تلبيته لرغبة البشرية في النمو والتقدم... وقيمة هذا المنهج أنه متوازنٌ متناسقٌ لا يعذب الجسد لتسموَ الروح، ولا يهمل الروحَ ليستمتعَ الجسد، ولا يقيِّد طاقات الفرد ورغباته الفردية ليحقق مصلحة الجماعة أو الدولة، ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة أو تسخرها لإمتاع فردٍ أو أفراد... لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانيةٍ واحدةٍ تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية..."، قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط32، 2003م) ج4، ص2401.

يكون مستدامًا وشاملاً؛ يبدأ بتطوير الإنسان علميًّا وإيمانيًّا حتى يحفظ التوازن في مكتسبات التنمية وديمومتها، يقول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»،[1] ويشهد لأولوية التنمية في الإسلام أن القرآن أول نزوله كانت قضايا التنمية البشرية حاضرة في خطابه، فقد جسدت سورة العلق – بدعوتها للتعلم والمعرفة – جانبًا مهمًّا في التكوين التنموي لدى الإنسان، ورسمت ضوابطه ومظاهره وأهدافه وثماره، ثم جاءت مفردات السُّنَّة مؤطرة ومجسدة أُسُسَ التنمية البشرية الشاملة المستدامة، من دعوته ﷺ إلى النهوض بالعلم والتخصصية، والتدريب العملي الذي مارسه الأصحاب في ضروب الحياة المختلفة، في السياسة والاقتصاد... إلخ، وتخلل ذلك كله القيم الإسلامية التي تُعدُّ من المحفزات الأساسية في مجال التنمية البشرية الشاملة، وبناءً على ذلك فإن قضايا البحث ترتسم: في التعريف بمفهوم التنمية البشرية، وهو بحث في تفهيم معنى الإنسانية وفق معايير العناية بالإنسان وتهيئته لعمارة الأرض وبناء المجتمعات وفق بُعْدِها الإسلامي، وفي بيان الأسس والمبادئ للتنمية البشرية في ضوء الحديث النبوي الشريف، وهو مبحث تأصيلي معني بالجمع والدراسة للأحاديث التي اعتنت بجانب التنمية البشرية والمتعلقة بالإنسان كائنًا تحمَّل أمانة الدين وخلافة الله في الأرض، وانبنت على ذلك مسؤولية دينية اجتماعية تتطلب منه الإدراك الكامل لمعنى النهوض والتمدن وفق منهج الله ﷻ، وعلى ذلك فإن الحديث الشريف وضع عددًا من الأسس المساعدة في تأسيس تنمية بشرية فاعلة، ومن أهمهما: التعليم، والمعرفة، والتخصصية، والولاء، والمثابرة، والأخوة، والتسامح، والغيرة... إلخ، ثم تأتي أهداف التنمية البشرية ومعالمها، وهو مبحث تطبيقي معني بالاعتبار بأول دولة في حضارة الإسلام وأركان بنائها التي امتثلت تعظيم شعائر الدين؛ كبناء المسجد بمنزلة منارة إسلامية تُغذي روح الجماعة وتُعمق معاني التفاني والتضحية في سبيل الفوز برضا الله

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها (بيروت:دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م) ص168، رقم479.

ﷻ، وسياسة الناس وفق منهجه ﷻ، ومن ثم أُسُس الإخاء بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد وحدة الأمة وإبراز قواعد الإسلام أنموذجًا في هداية البشرية، وهو أكبر معين في تبليغ دعوة الله ﷻ، ومن ثم دستور الدولة العادل وفق أسس المواطنة والإصلاح المجتمعي.[1]

وبناء عليه يتمثل أبرز أهداف الدراسة في:

– التقعيد لمفهوم التنمية البشرية في الإسلام، وأوجه تطبيقاتها المختلفة في الأفراد والمجتمعات والمؤسسات.

– استشعار واقع الأمة المسلمة من التنمية البشرية المعاصرة، الدال على قصر فكر منسوبيها واستحضار أُسُس الجاهلية البغيضة التي لوَّثت أفكار الأمم والشعوب المسلمة وأخذ كل مِنَّا فيها بنصيب قل أو كثُر، مع التذكير بسُنَّة الله ﷻ: ﴿وَإِنْ

---

[1] انبنى دين الإسلام على مبدأ المساواة الممزوجة بالسماحة ونبذ العنف؛ قال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَل عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125)، أمر الله تعالى فيها بامتثال السماحة في تقديم الدعوة الإسلامية، وهذه التوجيهات القرآنية الداعية التزام مبدأ السماحة ترجم النبي ﷺ أسمى معانيها مع كل الأمم والشعوب مسلمها وغير مسلمها من ملل أهل الكتاب والمشركين والمنافقين. حتى مدحه الله ﷻبقوله: ﴿وَإِنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾ (القلم: 4)، وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ/2003م)، ج10، ص323؛ أكرم ﷺ وفد نجران من النصارى حيث صلوا في مسجده، ولم يعنف عليهم ولم يمنعهم من ذلك. وهذا أحد رهبانهم – ميشو – يشهد بذلك في قوله: "من المؤسف ألا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم، واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة"، وتقول الدكتورة زيغريد هونكة: "ولعل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارسي (كيروس) قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون مخربين، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب ما هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة". يُنظر: الوقفي، إبراهيم أحمد، **السماحة في الإسلام والمسيحية** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) ص64. وهذا ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من الرحمة والسماحة والعفو عن المسيء، واللين والتودد. وأنصف الإسلام المسيحية حيث وصف أتباع عيسى ﷺ بها: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيْل وَجَعَلنَا فِي قُلُوبِ الذِيْنَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوْهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ﴾ (الحديد: 27).

تَتَوَلَوْا يَسْتَبْدِل قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: 38).

- بيان أوجه تكامل التنمية البشرية من منظور الإسلام، في جانبي الروح والجسد، التي تُستمد من فطرية الإنسان، وتهدف إلى تحقيق السعادة والرفاهية.
- مدارسة المعالم التنموية في صدر الإسلام من واقع معالجتها للقضايا المتنوعة وكيفية تنميتها، إن كانت قضايا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو دينية، وهي معالم منبثقة من ثوابت القيم في الإسلام كالعدالة والرحمة والأخوة... إلخ.
- التقعيد لأهداف التنمية البشرية في الحديث الشريف، والتي من أهمها تفعيل مبدأ القدوة في السلوك، وتنمية الفرص والتحديات وإدارتها.
- استظهار حاجة إرث الخلافة للتنمية البشرية للنهوض بأمانة التكليف التي ربى ﷺ أصحابه في سبيلها على تحمل الرسالة وتبليغها والصبر عليها... إلخ، فتفانوا في بناء أرقى حضارة علمها التاريخ في التعريف بدين الله تعالى، واحترام حقوق الأقليات غير المسلمة والإحسان إليهم وتقديم أنموذج إسلامي رفيع.

1. مفهوم التنمية البشرية

"التنمية البشرية" مصطلح هادف للرقي بالمجتمع من حيث العلم والمعرفة، لتحقيق عمارة الأرض، ببسط حرية الفكر، وتوسيع مفهوم التعايش، والاستفادة من الاختلافات المظهرية في اللون، ومستوى المعاش، واختلاف الألسن، والأعراق؛ لتحقيق التكريم الإلهي للإنسان، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70)، ومن ثم إبراز الغاية من اختلاف الخليقة، قال ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، وهي من أفضل سبل الدعوة للتكافل الاجتماعي الذي تتحقق من خلاله التنمية البشرية، كقوله ﷻ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ

بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف: 32).

وتتمحور أبرز معاني مصطلح (التنمية) في:

الزيادة: وهي من نَمَى يَنْمِي نَمْيًا ونُمِيًّا ونَماءَ زاد وكثُر. في الحديث أن رجلاً أراد الخروج إلى تَبُوكَ فقالت له أُمُّه أو امرأته: كيف بالوَدِيِّ؟ فقال: «الغَزْوُ أَنْمَى للوَدِيِّ»،[1] أي يُنَمِّيه الله للغازي ويُحْسن خِلافته عليه.

الإصلاح والإفساد: أي التبليغ على وجهي الإصلاح وطلب الخير، أو الإفساد والنميمة. وهذه بناء على تركيب الجملة التي تحوي كلمة (التنمية). قال ﷺ: «ليس بالكاذب مَن أصلح بين الناس، فقال خيرًا، ونَمَى خيرًا»،[2] وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم قالوا: بلى، قال: فخياركم الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى، ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى، قال: فشراركم المفسدون بين الأحبة، المشاؤون بالنميمة الباغون البرآء العنت»،[3] وأنشد النابغة:

فعَـدَّ عمَّـا تَـرَى إذْ لا ارْتِجـاعَ لـهُ وانْمِ القُتُـودَ علـى عَيرانـةٍ أُجُـدِ[4]

العلو والارتفاع: تطلق على معنى الارتفاع، فكلُّ ارتفاعٍ انتماءٌ، يقال: انْتَمَى فلان فوق الوِسادة، ونَمَيتُ فلانًا في النسب أي رفعته فانْتَمَي في نسبه، ومنه قول الجعدي:

إذا انْتَمَيـا فـوقَ الفِـراشِ عَلاهُمـا تَـضَوُّعُ رَيّـا رِيـحِ مِـسْكٍ وعَنْـبرِ[5]

السمنة: ومنها نمى الإنسان سمن، والنامِيةُ من الإبل السَّمِينةُ، يقال: نَمَتِ الناقةُ إذا سَمِنَتْ، وفي حديث معاوية: "لبِعْتُ الفانِيةَ، واشتريت النامِية"، أي لبِعْتُ الهَرِمة من

---

[1] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م)، ج1، ص969.

[2] أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، د.ت) ج2، ص698.

[3] ابن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ/1999م).

[4] السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر ، **كتاب الأفعال**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1983م) ج3، ص289.

[5] الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين (د.ن: ر دار الهداية، د. ت).

الإبل، واشتريت الفَتِيَّة منها، وناقة نامِيةٌ سمينةٌ.[1]

خلق الله: ومنها النَّامِيةُ خَلقُ الله تعالى، وفي حديث عمر ﷺ: «لا تُمَثِّلوا بنامِيةِ الله»،[2] أي بخَلق الله لأنه يَنْمي من نَمى الشيءُ إذا زاد وارتفع.

النجاة: قيل للنَّامي الناجي؛ قال التَّغْلبيّ:

وقافِيـــةٍ كـــأنَّ الـــسُّمَّ فيهـــا ولـــيسَ سَـــلِيمُها أبـــدًا بنـــامي

صَـرَفْتُ بهـا لِـسانَ القَـوْمِ عَـنْكُم فخَـــرَّتْ للـــسَّنابك والحَـــوامي[3]

وأما كلمة **البشر**: فيقصد بها بنو آدم، وهو من أشهر المصطلحات، وأوسعها انتشارًا، وأبسطها تركيبًا، وهي لفظة تُشاطر غيرها من الألفاظ في معناها كالإنسان، وبني آدم، غير أن ما يميزها من غيرها اشتراكها مع ألفاظ أخرى في معانٍ لها مردودات حميدة في مسامع الإنسان ودواخله.

وفي هذه الدراسة يكفي الإشارة لأبرزها: فالبِشْر أول ما يظهر من السرور، والبشارة أول ما يصل من الخبر السار[4]، وحسن الهيئة لاشتقاقها من البشارة يقال: رجل بشير وامرأة بشيرة، إذا كان حسن الهيئة فسمي الناس (بشرًا)؛ لأنهم أحسن الحيوان هيئة والظهور، وسموا (بشرًا) لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة، وتباشير الصبح أوائله وأوائل كل أمر، واستبشر القوم تباشروا، والمبشرات الرياح تهب بالسحاب والغيث، وكذلك الرؤية الصالحة كما في الحديث الشريف: «ذهبت النبوات وبقية المبشرات»،[5] والبشر

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت) ج15، ص341.

[2] ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج4، ص616.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ج15، ص341.

[4] المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط1، 1410هـ) ج1، ص131.

[5] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2،

حسن الخلق،[1] ولعل أبلغ معانيها تتجلى في كونه بشرًا سويًّا في سلوكه وفكره وفطرته التي إن لم يحد عنها فحريٌّ به أن يحقق مفهوم الخلافة التي ما هي إلا نتاج تنمية بشرية شاملة، وبهذا تبين حُسن النسق بين اللفظ ومدلوله اللغوي.

وأما تركيب (التنمية البشرية) فيعني مجموعة من المعطيات والأوضاع الناتجة من تفاعل عوامل ومدخلات بشرية وبيئية عدة ومتنوعة للوصول إلى تأثيرات وتشكيلات معينة في حياة الإنسان وسياق المجتمع.[2]

2. محتويات التنمية البشرية

هذا بحثٌ في تفهيم معنى الإنسانية وفق معايير العناية بالإنسان وتهيئته لعمارة الأرض وبناء المجتمعات، وقد جاءت بيناتها متكاملة فكريًّا وبدنيًّا وفق بُعدها الإسلامي والاجتماعي، فهي:

- تحديد مفهوم التنمية البشرية وتحليل مكوناتها وأبعادها، المتمثلة في إشباع حاجات الإنسان، ومن ثم التنمية الاجتماعية في السلوك الفردي، والاقتصادية المفضية إلى رفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة.
- إسناد قيمة الإنسان إلى ثوابت الإسلام ومنطلقاته وفق منهج النبي ﷺ الفاعل في تفهيم معنى الكرامة الإنسانية المؤسسة للعدالة المجتمعية التي هي من صميم عوامل عالمية الإسلام وديمومته ورحمته أطياف البشر مسلمهم وكافرهم، قال ﷻ: ﴿وَما أَرْسَلناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعالمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

1993م) ج13، ص411.

[1] ابن فارِس، أحمد بن فارس بن زَكرياء القزويني، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون (اتحاد الكتاب العرب: 1423هـ/2002م) ج1، ص237؛ الرازي، محمد بن أبي بكر **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: 1415هـ/1995م) ج1، ص237.

[2] انظر: http://www.hrdiscussion.com/hr16886.html#ixzz1E7dXfBWd، مقال بعنوان: ظهور مصطلح التنمية البشرية، للكاتب أحمد شاهين، في: 2010/08/30. تاريخ التصفح 2016/7/29.

- تفعيل عوامل التنمية ومدخلاتها وسياقاتها، ومن أبرزها: عوامل الإنتاج والسياسة الاقتصادية والمالية، ومقومات التنظيم السياسي ومجالاته، وعلاقات التركيب المجتمعي بين مختلف شرائحه، ومصادر السلطة والثروة ومعايير تملكها وتوزيعها، والقيم الثقافية المرتبطة بالفكر الديني والاقتصادي، والقيم الحافزة للعمل والإنماء والهوية، والوعي بضرورة التطوير والتجديد أداةً للتقدم والتنمية.
- إبراز أبعاد التنمية متمثلة في: النهوض بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل حياته، وتفجير قدراته وطاقاته البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية والمهارية والروحانية؛ استثمارًا للموارد والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية من خلال الاهتمام بتطوير الهياكل والبنية المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس.[1]
- تحقق السعادة والرفاهية[2] من خلال بناء الذات البشرية في جوانبها الإيمانية والمادية والصحية والفكرية والأسرية والمهنية، وهو بدوره فاعل في تحقيق النجاح والاستقرار والسعادة، ويجمع ذلك حديث النجاح في تحقق المسؤولية الشاملة بقوله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع

---

[1] اعتنى الإسلام ببناء الإنسان باعتباره النواة الأولى في بناء الدول، فـ"الدولة أداة للتعبير عن واقع يعيشه شعب ما من خلال مؤسسات، وتعتبر الدولة قمة الوعي المعرفي، والأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي السائد في المجتمع؛ لذا فالدولة تمثيل للعلاقات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية، فإن كانت هذه العلاقات متخلفة كانت الدولة متخلفة، وإن كانت متقدمة فالدولة متقدمة، وهذه العلاقات هي العاملة في تشكيل الدولة، لذا فإن هنالك عوامل تأثير وتأثر بين المؤسسات والمجتمع، فكلما كان تأثير البنية التحتية للمجتمع على البنية الفوقية كبيرًا كانت الدولة أكثر حرية وعدلا ورفاهية، وكلما كان تأثير البنية الفوقية على البنية التحتية أكبر كانت الدولة أكثر ديكتاتورية وتسلطًا". شحرور، محمد، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع** (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1994م)، ص185.

[2] رَفاهَةٍ من العيش أي سَعَة، ورَفَّهَ عنه: كان في ضِيقٍ فَنَفَّسَ عنه، العرب تقول: إذا سقَّطَتِ الطَّرْفَةُ قَلتْ في الأَرْضِ الرَّفَهَةُ؛ قال أبو الهيثم: الرَّفَهةُ الرَّحْمة، وفي حديث عائشة: "فلما رُفِّهَ عنه" أي أُزِيل وأُزيحَ عنه الضِّيقُ والتعبُ؛ ومنه حديث جابر: "أراد أن يُرَفِّه عنه أي يُنَفِّس ويُخَفِّفَ" يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج13، ص494.

وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته»، قال: فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ وأحسب أنه قال: «والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».[1]

3. أسس التنمية البشرية ومبادئها في ضوء الحديث الشريف

اعتنى الحديث بالإنسان ككائن بشري تحمل أمانة التكليف، وأُنيطت به خلافة الله في الأرض، وانبنت على ذلك مسؤولية دينية ومجتمعية تتطلب منه الإدراك الكامل لمعنى النهوض والتمدن وفق منهج الله ﷻ في إصلاح البشرية وتنميتها، والتي أوكل مهمة بيانها وتفعيلها لنبي الأمة ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَأنزلنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزل إِلَيْهِمْ وَلعَلهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44)، ووفق ذلك قامت أسس فاعلة في بناء تنمية بشرية يمكن استنباطها وتفصيلها من خلال الأحاديث الشريفة التي اعتنت بالإنسان وسبل تطويره من خلال: العلم، والمعرفة، والتخصصية، والولاء، والغيرة، والمثابرة، والأخوة، والتسامح... إلخ، وهذه أبرز أسس التنمية لامتثالها قواعد شامخة ذات مفهوم عميق يتمشى مع الفطرة السليمة والواقع الإنساني الذي دعا إلى حُسن المعشر، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ سَمْحًا بَائِعًا، وَمُبْتَاعًا، وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا، فَدَخَل الجَنَّةَ»،[2] وبذل العطاء والصلاح والإصلاح المجتمعي، قال ﷻ: ﴿وَلقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَذَا لبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 105-106)،[3] وقال ﷻ: ﴿الذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407هـ/1987م) ج2، ص902، رقم2419.

[2] ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، ج1، ص473.

[3] استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها، وتنميتها بالاستفادة من الطاقات والكنوز، والثروات الظاهرة والمخبوءة فيها، لتتحقق مفاهيم الوراثة التي وعد الله تعالى بها الصالحين، ممن جمع بين الإيمان والعمل الصالح. قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: 105)، إن المنهج الذي جاء

بِـالمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَـنِ المُنْكَـرِ﴾ (الحـج: 41)، ويمكـن الوقـوف علـى مقتطفـات مـن الأنموذجات المؤسسة للتنمية البشرية في منظور الإسلام.

العلم والمعرفة: تُعدُّ مباحث العلم والمعرفة كألفاظ اصطلاحية عاملة في مجال الحياة البشرية؛ مصطلحًا استيعابيًّا يُعْنَى بأوجه التطور والرقي الأممي، وأصبح يُرْبَطُ تقدم الأمة وتأخرها بهذا المصطلح، فالمعرفة تعني الانفتاح العلمي الذي هو سبب مباشر في إنماء التقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقد نبَّه إليه الخطاب القرآني في أول ما نزل من سوره، قال ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلقَ ۞ خَلقَ الإنسَانَ مِنْ عَلقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الذِي عَلَّمَ بِالقَلمِ ۞ عَلمَ الإنسَانَ مَا لمْ يَعْلمْ﴾ (العلق: 1-5)، وترجمه النبي ﷺ وطبَّقه من خلال دعوته لأصحابه في تاريخ الرسالة، فهو الذي علمهم مبادئ التوحيد والأخلاق، وهو الذي عرفهم بالحقوق والواجبات والحلال والحرام، ودعا لمن تعلم منه وبلغ ما تعلمه بالنضارة التي تعد أفضل زينة في وجوه المؤمنين في سبيل تحقيق المعرفة. قال ﷺ: «نضر الله امرًا سمع منا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع».[1]

وقد جعل ﷺ العلم والمعرفة من أولويات العمل الإسلامي الفاعل في تنمية البشرية، والمعين لها على تعمير الأرض، وفق منهج الإسلام؛ قال: «من سلك طريقًا يبتغي فيه

مع محمد ﷺ منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة، وتمثل هذه الرسالة كتابًا مفتوحًا للعقول في مقبل الأجيال، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعدًا لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير، وقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة. وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها، من دون اصطدام بأصول المنهج الدائم، وكفل للعقل البشري حرية العمل، بكفالة حقه في التفكير، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير، ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر، كيما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض.

يُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط1، 1406هـ) ج4، ص223.

[1] الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م) كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج4، ص331. قال الترمذي حسن صحيح.

علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»،[1] وقال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»،[2] وعن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: "اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، قال: فضرب في صدري، وقال: وَاللهِ لِيَهْنِكَ العِلمُ أبَا المُنْذِرِ».[3]

إذن، ما هي هذه المعرفة؟ وما معاييرها وخصائصها وحدودها؟ أدرك الغرب ماهية المعرفة المادية وما لها من أثر في بناء الإنسان الذي هو عمود عمارة الأرض، فالمعرفة عند سقراط الفضيلة، وقامت مبادئها على: الرحمة، والعدالة،[4] والشجاعة، والعفة،[1] ويُقصد

---

[1] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د. ت)، ج4، ص345.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، ص32.

[3] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج1، ص556؛ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ)، ج1، ص27.

[4] العدالة والإنصاف في الحكم والشهادة والاستواء في الأشياء، والوسطية، وهي بمحملها تدل على معنى الاستقامة في الدنيا والدين، روى مالك: «كان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر فجمعوا له حليًا من حلى نسائهم فقالوا له: خذ هذا لك وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، أمّا ما عرضتم من الرَّشْوَة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها. وفي رواية: "وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض"، مالك بن أنس، **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: تقي الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ط1، 1413هـ/1991م) ج3، ص260.

بكل هذا: خلق حالة من التوازن بين أفكار وآراء الحكام والمحكومين مما يساعد على مهمة الخضوع للسلطة،[2] وتعريف سقراط للمعرفة يفتقر لضابط الإيمان العقدي السليم الذي يُعدُّ ركنًا ركينًا في هيكلة المعرفة،[3] إذا سلمنا باختزال المعرفة في الفضيلة فإن مدلولها في طرح الإسلام مبني على الإخلاص، والتفاني، والبراءة من مآرب الشخصية، والإلمام بالفقه المعرفي،[4] تجلت في أول خلافة إسلامية، فلما وُلِّيَ أبو بكر خطب الناس قائلاً: "أما بعد، أيها الناس، قد وُلِّيت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن، وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني"،[5] هذه الخُطْبَة قد ألبست المعرفة معاني الحرية، والعدالة الاجتماعية، والتجرد في سبيل إنجاح الطرح الإسلامي. قال ﷻ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79).

التخصصية: الدعوة للتخصصية دعوة إسلامية مبنية على ثوابت إيمانية فاعلة في تنمية السلوك وإفادة المجتمع، أضف إلى ذلك أنها فاحصة بدورها في بيان نواميس الكون وسنة الله

---

[1] العفة هي التي بموجبها تصبح النفس قادرة على التحكم بأهوائها، وهي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والجمود الذي هو تفريطها، والعفيف: من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة، يُنظر: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص518.

[2] يُنظر: شيكوني، أنجلو: **أفلاطون والفضيلة**، ترجمة: منير سغبيني (بيروت: دار الجيل، 1986م).

[3] المعرفة في النظريات غير الإسلامية تعني البحث في الماديات وسبل الوصول لكل ما هو متاح أمام البحث العلمي؛ لذلك شتان ما بين الفضيلة والعلم، فإن إبليس كان يعلم الكثير، واليهود علموا وما عملوا، إن المعرفة التقانية غير المنضبطة أضحت تتلاعب بقانون الطبيعة، فأصبحت المعرفة كارثة حلت على بني البشر بسبب غياب الرابط الهيكلي للمعرفة وهو الإيمان بالله تعالى واهب المعرفة، قال ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: 23).

[4] الغزالي، محمد، **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، (القاهرة، دار الشروق، ط1، 1991م) ص44-45.

[5] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **صفوة الصفوة**، تحقيق: محمد فاخوري، ود. محمد رواس قلعه جي (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1979م) ج1، ص260.

في الخلق، وقد أراد الله تعالى لعباده التخصصية، بل كل مخلوقاته لها اختصاصات محددة انتظمت في مجملها لإسعاد البشرية التي هي أولى بوعي درس التخصصية الفردية المعينة في تنمية المجتمع، وهي نوع من التسخير الإلهي البشرية بعضها لبعض بغرض تبادل المصالح المشتركة؛ قال ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: 32)، فهذا ﷺ يختار أصحابه لمهمات مختلفة حسب اختصاصاتهم. قال ﷺ: «إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم»،[1] وقال ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».[2] وبهذه التخصصية أرسل معاذًا داعيًا إلى اليمن، وأبعد أبا ذرٍّ من الإمارة، عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».[3]

أضحت قضايا التخصص ضرورة مهمة في تجويد الأداء، وتحديد المسؤولية، وهي من نواميس الكون التي ارتضاها الله ﷻ لعباده، بل قامت المعجزات في كل أمة فيما هم فيه متخصصون، فالعرب اشتهروا بالفصاحة والبيان فجاءت المعجزات البيانية في القرآن تحديًا للعرب وإثباتًا لقدسية القرآن الكريم، وصدق النبوة، وكان ﷺ يلتزم ذلك في حِلِّه وترحاله وسِلْمِهِ وحَرْبِهِ، وأبرز مظاهر التخصصية هي:

– تجويد الأداء، فكلٌّ خبير بصنعته وتخصصه، فالنجار لا يمارس الطب كما أن الطبيب ليس نجارًا، وقد أدرك المعاصرون مدلول الخصوصية وفاعليتها في النماء.

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص464.

[2] ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج1، ص55.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، ج6، ص6.

– إدارة الوقت، فالتخصصية تسهم في استثمار الوقت، وتنمية القدرات، فالمتخصص هو الذي يستطيع إنجاز مهامه في أوقاتها، ولنا عبرة في ذلك فالمحافظة على مواقيت الأشياء نوعًا من التجويد؛ لذا قال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها».

– تحقيق لمقاصد القرآن في قضايا التكافل العملي والمقصود به تكامل مصالح العباد؛ قال ﷻ: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: 32).[1]

الولاء: يعني المحبة[2] والنصرة والتناصح والقرب والإكرام والإخلاص والإصلاح والانتماء والمودة والتشبه والغيرة والنصيحة للمؤمنين، وتعني في مجملها التكافل المعنوي والمادي في سبيل نصرة دين الإسلام وعمارة الأرض، من واقع البناء الأخوي القائم على مبادئ العقيدة السليمة. إن تحقيق تلك المفاهيم منوط به كسب الولاية الإلهية التي ربط الله ﷻ تحقيقها بتحقيق معاني الولاء، وقد كان مفهوم الولاء أعظم أمر بعد النطق بالشهادتين والاستسلام لطاعة الله ﷻ، بل جعلها ﷺ من أولويات الدين وضرورات المجتمع، وسطرها واقعًا ملموسًا وسلوكًا يُتَّبع، فجاءت أطروحات الفكر الإسلامي في بناء أعظم حضارة تنموية شاملة على مر التاريخ، فقد أدرك ﷺ بنور النبوة أن نواقض البراء حالقة الدين ومجهضة للطرح الإسلامي الذي لطالما هاجر حاضروه في سبيل نصرته وإظهاره، فوضع ﷺ أُسُسًا فاعلةً في تنمية المجتمع التزمت مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وصياغة الدستور الإسلامي الذي انتظم سياسة الدولة ومراعاة حقوق

---

[1] الزركشي، محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، 1391هـ) ج1، ص107.

[2] قال مسلم بن يسار: "ما من عملي شيء إلا وأنا أخاف أن يكون قد دخله ما يفسده إلا الحب في الله". يُنظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكر (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ) ج17، ص430.

المسلمين وغير المسلمين،[1] وقبل ذلك بناء المسجد الذي جمع قلوب المؤمنين وألف بينهم، وبذلك اكتمل العقد الفريد فجاءت أطروحات الفكر الإسلامي نورًا تهتدي به البشرية تحقيقًا لقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالمِينَ﴾ (الأنبياء: 10)، إن ما تعانيه الأمة من واقع انحطاطي وتخلف، وتبعية مأجورة، وفقدان الذات والهوية، لهي قمة التيه الفكري النابع من فقدان السبيل، قال ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»،[2] وقد كان لفقدان السبيل ثمن باهظ أذاق الأمة ويلات التيه الفكري الذي لبثت فيه سنين فاقت أربعينية اليهود وما زالت، ما لم تستضئ بنور الإسلام الذي اتضحت معالمه كفلق الصبح وضحى النهار.

إن بناء الذات الذي تعاني من فقدانه الأمة في واقعها المعاصر في حاجة لتفعيل أسس التعاون بين علماء الأمة ومفكّريها والنصيحة لولاة أمورها، والدعوة لهم بالصلاح والإصلاح وإعانتهم في إصلاح المجتمع، والبعد عن نقدهم علنًا مما يسهم في إشعال الفتنة وإضعاف شوكة المسلمين. قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»،[3] وقال ﷺ: «المسلمون كرجل

---

[1] أخطأ من ظن أن التبرؤ من ديانة اليهود المحرفة يلزم ظلمهم ومصادرة حقوقهم، فقد قبل النبي ﷺ وجودهم في المدينة، وكفل لهم حق الحياة واختيار الدين، وحق التملك، وحق العدل في المعاملة، اختصم مرة الأشعث بن قيس ورجل من اليهود إلى النبي ﷺ في أرض باليمن، ولم يكن لعبد الله بيِّنة قضى فيها لليهودي بيمينه، يُنظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص851، وحق التحاكم فيما بينهم إلى قوانين دينهم، وكان ﷺ يحسن معاملة اليهود، فقد أمر ﷻ بالقسط والبر وحسن الخلق وأداء الأمانة مع اليهود وغيرهم؛ امتثالا لقوله ﷻ: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8)، فقد كان يعود مريضهم؛ عن أنس بن مالك ﷺ: «أنَّ غُلامًا مِنَ اليَهُودِ كَانَ يَخدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَال: أسلِم. فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وَهُوَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَال له: أطِع أبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأسلمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمدُ لِلهِ الذِي أنقَذَهُ مِنَ النَّار»، البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، ص455.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، ج3، ص1274.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، ج8، ص20.

واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»،[1] وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»؛[2] إن البحث عن الذات الإسلامية وتحقيقها أكبر حافز ومعين على تطبيق حيثيات الولاء الإسلامي الذي جعله النبي ﷺ أوثق عُرَا الإسلام، وأوثق سبل تحقيق معاني الإنسانية وحاجيات تطوير المجتمع، ولعل هذا ما يسع تفصيله في المبحث الآتي.

4. معالم التنمية البشرية في الحديث الشريف

الناظر في معالم التنمية البشرية في زمان النبي ﷺ يلتمس معالم تنموية انتظمت معاني الحياة الروحية منها والمادية؛ تمشيًا مع رسالة الإسلام وخصائصه الكمالية التي ارتضاها الله ﷻ له من دون غيره من الرسالات، فامتثلت حياة النبي ﷺ وأصحابه الكرام شعائر الإسلام؛ قال ﷻ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، ومراده من التنمية البشرية وأركانها الضامنة نجاحها وديمومتها، فتعظيم شعائر الإسلام في قضايا التنمية البشرية بدأ من الإعداد النفسي والروحي والبدني للأفراد والجماعة، فكريًّا وإداريًّا، بتعميق معاني الروح الجماعية، والتفاني والتضحية في سبيل الفوز برضا الله ﷻ، وسياسة الناس وفق منهجه ﷻ، من واقع الإخاء بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد البشرية، وإبراز قواعد الإسلام أنموذجًا للعدالة والسماحة والحرية في المعتقد والممارسة، وبدوره أفرز توحيدًا فكريًّا نفسيًّا بين شعوب المسلمين متجاهلا شعور الأنانية والنظرة الشخصية الضيقة، فامتزج نسيج الأوس والخزرج من جانب في بوتقة الأنصار، وتلاقى المهاجرون من شتى بقاع الأرض، فتكون نسيج الوحدة الإسلامية؛ قال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة: 100)، فضلاً

[1] المصدر نفسه، ج4، ص1999.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، ج6، ص2550.

عن ذلك قدم أنموذجًا فاضلاً في استقطاب الآخرين ومزجهم ضمن بوتقة المجتمع المدني بكفالة حقوقهم المدينة في المواطنة والدينية، فأضحت معالم التربية تنتظم مفاصل مكونات الإصلاح المجتمعي، وفي جعبتها معاني العدل والمساواة والصدق والتواضع وحسن التعامل،[1] هذا من جانب، ومن جانب آخر بحث قضايا الأمن السياسي والاقتصادي، وبناء أسس التكافل الاجتماعي لمحاربة الفقر، والظلم والتسلط وحسن التعامل مع مفردات المجتمع المدني بأطيافه، لعمرك إن هي إلا شرائط التمكين لأمة الإسلام؛ قال ﷻ: ﴿الذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرْضِ أقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأمَرُوا بِالمعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المنْكَرِ﴾ (النور: 9).

معالم التنمية الروحية في السنة: أسست السنة منذ بزوغ فجر الإسلام للبناء الإنساني المتكامل؛ بدءًا من تهذيب السلوك على أسس العقيدة السليمة، والتحلي بمحاسن الأخلاق في مكونات الإنسان الذاتية والمجتمعية، وعمارة الأرض، وإقامة المؤسسات والاستفادة من سنن الكون، حتى يكتمل مفهوم الاستخلاف الذي وعده الله ﷻ المؤمنين، بقيام دولة الحضارة الراشدة، والتي تُعِيْنُ على الاعتبار في سنن الله في الكون الموصلة إلى قمة المفهوم الحضاري التنموي، وهو هرم فكري ذو قاعدة صلبة في تعميق الإيمان بالشواهد الاجتماعية،[2] فحضارة الإسلام انبنت على التنمية السليمة المستدامة،[3] التي تجاوزت اعتبارات المادة أو الوجود كمصدر أحادي للمعرفة، وعدَّت

---

[1] قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، ج2، ص382. ببعثته ﷺ وشريعته كمل البناء الإيماني والهدي الرباني، واكتمل للإنسانية النور الذي يضيء لها أسباب السعادة، واكتملت مكارم الأخلاق، ودعائم الحق والعدل، فقد أكرم ﷺ وفد نجران من النصارى حيث صلوا في مسجده، ولم يعنف عليهم ولم يمنعهم من ذلك؛ يُنظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت) ج1، ص27.

[2] يُنظر: عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب: **روح الحضارة الإسلامية**، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، (الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1413هـ/1992م)، ص7.

[3] يُنظر: أبو مجد، أحمد كمال، **رؤية إسلامية معاصرة**: إعلان مبادئ، (القاهرة: دار الشروق، 1991م)، ص43.

الوحي المرجع والملجأ الذي تستمد منه التنمية معالمها، وهي منبع فكري ومنهج للحياة أثَّر في المبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع التي تنتظم المجتمع أفرادًا أو جماعات، ومن ثم انعكاس ذلك على الأخلاق والآداب والتقاليد والعادات والقيم والموازين التي تسود المجتمع وتؤلف ملامحه، مع سيادة القيم الإنسانية، واستملاء الإنسان في العقيدة الإسلامية، والنظام الاجتماعي الإسلامي،[1] فالتنمية في الإسلام تنمية إيمانية عقدية ملتزمة متوازنة شاملة إيجابية بناءة واقعية خالدة مستمدة أسسها من خصائص دعوة الإسلام التي صدح بها القرآن نورا للبشرية وهادية في التعمير الكوني؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، هذه الآية جسدت معالم التنمية المستمدة من دين الإسلام، ففيها تنمية ممزوجة بعالمية الرحمة، وجبلية الإنسان، ومفصلية التبيين،[2] ووفق ذلك أضحت مرتكزات البناء التنموي نابعةً من سلامة المعتقد المحفزة في التكامل البنيوي للإنسان، والواقعية في الفكر والممارسة والأمل والثبات عند الشدائد والهيمنة والإحاطة والشمول، وبناء النظام الاجتماعي الذي يعني المساواة بين البشر فكرًا، وفي العدالة الاجتماعية النافذة عملاً، والحرية المنضبطة، والأخوة البناءة، والأخلاق والفضائل، والبناء والتعمير، ومن أبرز المعالم التي أسهمت في إنجاح هذا المشروع الربطُ العقدي المستدام والمشارك في مفصلية التنمية بأشكالها؛ قال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»،[3] ويمكن ضرب بعض الأنموذجات التفصيلية في معالم العقيدة، وتزكية النفس، ودولة الرسالة، لتتجلى بصورة أوضح معالم التنمية في الإسلام.

معالم العقيدة في مفاصل التنمية المستدامة في الإسلام: قد ركز الإسلام منذ مطلعه على قضية الاعتقاد، واستغرقت قضية العقيدة الحياة المكية، كما دخلت مفاصل دعوة النبي ﷺ في المجتمع المدني، وأضحت القوة الفاعلة في تنشيط العمل، فالعقيدة تنظيم

---

[1] يُنظر: عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب: **روح الحضارة الإسلامية**، ص5.

[2] يُنظر: أبو مجد، **رؤية إسلامية معاصرة: إعلان مبادئ**، ص49.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، ص27؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص30.

صلة الإنسان بالله ﷻ، وانتظام شريعة فاعلة شعارها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتوحيد الهدف بالإقرار بالعبودية لله وحده من دون ما سواه، صاحب السلطان منزه عن الشرك والنقصان، وهذا مفهوم مفصلي في تنمية وبناء النفوس وهو يعني الإدراك البشري لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني الذي يتكيف به الإنسان في إدراكه لحقيقة ربه وجلاله ولحقيقة الكون الذي يعيش فيه، ولحقيقة الحياة التي يعيشها، ولحقيقة الإنسان نفسه، وهي قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة، المتمثلة في مقتضيات أركان الإسلام، من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وحدود، وتعازير، وحلال وحرام، وسلوك وأخلاق؛ قال ﷻ: ﴿قُل إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ العَالمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ المسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162-163)، إن استيعاب مفهوم العقيدة أمرٌ جوهري مفصلي له معطيات كانت وراء ما حقَّقته التربية الإسلامية من سمو وإعجاز أدهش العالم بأكمله، ومن هذه القيم بنى النبي ﷺ معالم التنمية الشاملة.

معالم التكامل الإنساني (تزكية النفس): سمات تنمية الإنسان في الخطاب النبوي كانت ماثلة وذات معالم ظاهرة في الأفراد والجماعات فكرًا وعملاً، فنشأ المجتمع على مبادئ الإخلاص، ورُتبت على ذلك معاني التعبد والحياة، فصار شعار الصحابة مراقبته ﷻ، عن حذيفة ﷺ قال: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلّقتُ به فقلتُ: "اجلس يا أمير المؤمنين، فإنّه من أولئك؛ أي من المنافقين"، فقال: "نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحدًا بعدك"،[1] حضرت في أذهانهم الأحاديث المحفزة للمراقبة، والمحذرة من اكتساب سلوكيات منافية لتلك القيم، فيقول تارة لأصحابه: «من غشنا فليس منا»،[2] وتارة يحفز فيهم ثمرات التعبد، فيقول ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه

[1] الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (بيروت: دار الفكر، 1412هـ) ج3، ص157، قال: رواه البزار ورواته ثقات.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص69.

يراك»،[1] ويغرس فيهم معاني التوكل الممهد لتقوية شخصية المسلم وتحفز فيه قوة الشخصية وارتباطها بحفظ حقوق الله ﷻ ويقول: «احفظ الله يحفظك... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...»،[2] وزاد في رواية الطبراني: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»،[3] ثم يصرح لهم بتجويد العمل وأنه مؤشر النجاح؛ قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء...».[4]

هذه التوجيهات الراشدة معنية بمعالجة السلوك وغرس الطهارة السامية، وإلباس ثوب الكرامة المتمردة على عبودية الإنسان للإنسان، وتسلط الطواغيت، قال ﷻ: ﴿قُل يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)، ورأينا من هذه التربية ثمرات أتى أكلها، فانتفعت منها البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، فشخصيات الصحابة ﷺ صارت لها مميزات متنوعة، وأشرقت بنور الله ﷻ الأرض بحياة الصحابة، يُعَرِّفُوْنَ بقيم الإسلام أينما حلوا وحيثما وجدوا، قال النبي ﷺ في وصيته معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».[5]

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، ص27؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص30.

[2] الترمذي، **سنن الترمذي**، ج4، ص667، رقم2516، وقال: حسن صحيح.

[3] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، 1404هـ/1983م) ج11، ص123.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، ج3، ص1548.

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص544.

معالم الدولة الرسالية: إن مقومات الدولة الرسالية تستمد نورها من خصائص دعوة الإسلام التي من أهمها الوسطية في الفكر والاعتدال في الممارسة، أسسها النبي ﷺ على أسس، منها بناء المسجد النبوي الذي هو شعار المسلمين، لما له من دور في توحيد المسلمين، بدءًا بالصلاة في الجماعة وطريقة الاصطفاف في الصلاة، وتكوين حلقات الذكر والعلم وتلاوة وتعليم القرآن الكريم والفتوى، كما كان المسجد ساحة اجتماعية يعان فيه المعدوم، ويعاد فيه المريض، ويعزى فيه الأموات، ويطعم فيه الجائع كأهل الصفة، وكان المسجد ساحة قضائية يفصل فيه بين المتخاصمين، وتعد فيه الجيوش للجهاد، فكان بعامة ديوانًا لشؤون الدولة المسلمة، وعليه بنيت أواصر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ومُسِحت من الخارطة الإسلامية حمية الجاهلية القبلية، ولم تُقِم المؤاخاة وزنًا لاعتبارات القبيلة أو الطبقة، بل جمعت بين الغني والفقير، والأبيض والأسود، والحرّ والعبد، وحلت محلها مباني التعاضد والتكافل والتراحم، والمودّة، والنصرة، والمواساة، ولقد أنزل فيهم الله ﷻ قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَالذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: 9)، ومن معالم المؤاخاة ما جرى مع عبد الرحمن بن عوف، قال ﷺ: لما قدمنا إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: "إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتيَّ هويت نزلتُ لك عنها، فإذا حلت تزوجتها"، فقال عبد الرحمن: "لا حاجة لي في ذلك؛ هل من سوق فيه تجارة؟"، قال: "سوق قينقاع"، فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقط وسمن، ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: «تزوجت؟»، قال: نعم، قال: «ومن؟»، قال: امرأة من الأنصار. قال: «كم سقت؟»، قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب، فقال له النبي ﷺ: «أوْلِم ولو بشاة»[1]، وقد حفظ النبي ﷺ للأنصار حقوقهم لِمَا قاموا به من كرم الضيافة واحتضان الإسلام ورسول الإسلام والمهاجرين من الصحابة، فقال النبي ﷺ: «لو أن الأنصار سلكوا واديًا أو شعبًا لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص722.

لكنت امرأ من الأنصار»،[1] ومن ثم وضع ﷺ دستورًا ينتظم الحياة الاجتماعية لدولة المؤمنين التي راعت حقوق الأقليات غير المسلمة كاليهود والمشركين، ولفيف من المنافقين، على أساس العدالة والرحمة للمجتمع المدني، وكانت معالم الرسالة الإسلامية حاضرة في مفصليات الدستور الإسلامي، وأسهم في انتشار الإسلام ودخوله بيوت أهل المدينة، فضلاً عن تعامله ﷺ مع اليهود والمنافقين وفق توجيهات الله ﷻ؛ حرصًا منه على بناء مجتمع سمح تنصهر فيه التنوعات المتمايزة ويتعرف من خلالها المجتمع على منهج الإسلام ودعوته، فانتفع بذلك كثير من أتباع اليهود والمنافقين.

5. أهداف التنمية البشرية وتحدياتها في ضوء السُّنَّة النبويَّة

الأهداف الإستراتيجية للعمل التنموي في الإسلام تُمثل تَبَلوُر مُقَوِّمات التنمية البشرية وتجسُّدها في مكونات المجتمع المسلم في صدر الإسلام باعتباره عصر تأصيل وتأطير لأسس التنمية البشرية ومعالمها وأهدافها، باعتبار التنمية في صدر الإسلام لها أسس ومبادئ ومميزات وقيم وطرق تدار بها الفرص والتحديات، مستمدة من خصائص الرسالة الإسلامية من الشمولية والوسطية والهيمنة والفطرية والخلود، فهي هادفة إلى إنماء حياة القدوة في التعبد، وتنمية قيم العدالة المجتمعية، والقسط والتوسط في الدين والحياة وعدم رهبنة الإنسان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟»، فقلت: بلى يا رسول الله قال: «فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا»،[2] قال ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا»،[3] كما

---

[1] المصدر نفسه، ج3، ص1377.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، ج17، ص310.

[3] القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، **مسند الشهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ/1986م) ج1، ص442.

هدفت إلى تنمية العزة بالدين ومفاهيم الاستعانة والتوكل، قال ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله»،[1] وبما أن المساحة البحثية توجب الاختصار فإن البحث يشير إلى مقتطفات أنموذجية لأبرز أهداف التنمية البشرية في الحديث الشريف.

تنمية مفهوم القدوة السلوكية: من أهداف التنمية البشرية في السنة تنمية قدوة السلوك مَلَكَةً قائمةً على قيم الإسلام ومبادئ الدين، فإن كان المؤمنون مأمورين بالاقتداء بالنبي ﷺ في سلوكياتهم وشؤون حياتهم، فإن الأمر جاء على عمومه لا مقيدًا بجانب من حياته ﷺ، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21)، وربط أمر قبول العمل ونيل رضا الله ﷻ باتباع محمد ﷺ، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31)، ووصفت السيدة عائشة – رضي الله عنها – خُلُق النبي ﷺ بقولها: "كان خُلُقُهُ القرآن"،[2] فإن مصادقة القول العمل أمر رباني عاب الله تعالى على مخالفيه، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ أَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: 2، 3)، وقال ﷺ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: 44)، وحثَّ النبي ﷺ للاقتداء به في جميع مفاصل الحياة، فهو الذي ربى أصحابه على سلوك القدوة في الأخلاق دعاة ومدعوين، ربى أبا ذرٍّ على قدوة التواضع بالزجر والنهي عن سلوكيات الجاهلين، وربى ابن اللتيبة على النأي عن مواطن الشبهات في التعاملات المالية، وربى آل ياسر على قدوة الصبر، وتأثر الصحابة بسلوك النبي ﷺ أيما تأثير، عن عروة بن مسعود في صلح الحديبية: «... فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ... فَقَالَ: ... فَإِنِّي وَاللهِ لأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ

[1] الترمذي، **سنن الترمذي**، ج4، ص667، وقال: حسن صحيح.

[2] البخاري، **الأدب المفرد**، ج1، ص115.

عَنْهُ وَنَدَعُهُ... قَال: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله ﷺ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أَصْحَابِهِ، فَقَال: أَيْ قَوْم، وَالله لقَدْ وَفَدْتُ عَلى المُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»،[1] وقد أمر النبي ﷺ بالتأسي بأصحابه وأصحاب أهل القرون الأولى لقربهم بزمنه ﷺ؛ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَه»،[2] فصارت القدوة من أكبر المعينات في البناء التنموي في الإسلام، والقدوة الإسلامية قدوة شاملة في المعاملات الأسرية، وتربية الأولاد، والمعاملات المالية، والعبادات... إلخ.

تنمية قيم العدالة المجتمعية: جاء الإسلام بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود أو البغض ولا تتبدل مجاراة للصهر أو النسب والغنى والفقر والقوة والضعف؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُواْ بِالعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58)؛ ربى ﷺ الصحابة على أُسُس العدالة مع الذات ومع الآخر، وبيَّن لهم أن العدالة ملهمة لحب الخير للآخرين وداعية لروابط الوحدة الإيمانية التي هي من أظهر معالم التنمية الروحية، قال ﷺ: «لا يؤمن

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص974.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص938.

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»،[1] فأضحت العدالة في الإسلام مساواة مشوبة بمفهوم الرحمة، والمروءة، والكرم، والبذل، والعطاء، ربطها الله تعالى بهذه القيم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ (يونس: 23)؛ إن معالم العدالة في الإسلام شاملة الأطياف كلها، ففي إحقاق الحقوق تعد مساواة، وفي العدالة الأسرية تعد رحمة، وفي العدالة بين الأخوين تعد محبة، فعدالة الإسلام عدالة روحية إيمانية من أهم نتائجها الرضا والتسليم، قال ﷺ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65)، جهر بها النبي ﷺ في وجه حِبِّه أسامة بن زيد، في شفاعته للمخزومية، فقال ﷺ معاتبًا: «أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!»، ثم وقف خطيبًا وقال: «ما بال قوم يشفعون في حد من حدود الله، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»،[2] هذا هو العدل في الإسلام الذي حض الله تعالى عليه وأمر به جل شأنه، من ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلوْ عَلى أَنفُسِكُمْ أوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ غَنِيًّا أوْ فَقِيرًا فَاللهُ أوْلى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُواْ الهَوَى أن تَعْدِلُوا﴾ (النساء: 153)، ومن العدالة المقصودة في الإسلام تهيئة الفرص ومراعاة المواهب، مما يعين على تفجير قدرات وطاقات ومهارتٍ مذهلة تعين الإسلام ومجتمع الإسلام في مجالاته المتنوعة، فهذا رسول الله ﷺ يطلق العنان لحسان ويأمره بجهاد الكلم أمام الطغاة من القرشيين الذين يسري فيهم قرض الشعر ويؤثر على قواهم مما كان له مغزى أعان الإسلام في مجاله؛ هذه العدالة أساس في تنمية الشعوب ومحاربة الفقر والعادات الضارة، والظلم المادي والمعنوي؛ قال ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا وَلا

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، ص14؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص49.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، ج5، ص114.

تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا... المسْلِمُ أخُو المسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ... بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المسْلِمَ، كُلُّ المسْلِمِ عَلى المسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»،[1] فما تحققه العدالة في توزيع الحقوق المادية والمعنوية حري به أن يعين على تنمية مجتمع رسالي هادف لإعلاء كلمته ﷻ، وتعمير الكون ونشر الفضيلة التي يباهي الله ﷻ بها الملائكة في السماء، فالعدالة التي جاء بها الإسلام في الحقيقة انسجام عالمي، ووحدة إنسانية متكاملة، تُكَوِّنُ جماعة دولية تحمي فيها الامتيازات القائمة على الاختلاف في الألوان والأجناس واللغات والحدود الجغرافية، ومن المحال أن تكون حضارة إنسانية عالمية إلا بتحقيق ذلك لأنها من جانب تحافظ على فردية الفرد، ومن جانب آخر تطهرها من كل ما قد يكون فيها من الميول المتناقضة قالها ﷺ لأبي ذرٍّ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»،[2] والنظام الإسلامي بهذا يقطع الطريق على النظام الطبقي – كما في النظامين الشيوعي والرأسمالي– ما يصاحبه من نظام مجتمعي، وقد أحدثت هذه المبادئ ثورة اجتماعية هائلة بدلت الأوضاع الاجتماعية فالجميع أمام الله ﷻ سواء، ومن هذا المنطلق سار الناس بطاقاتهم إلى المجد، لا يعترضهم جهل أو غرور أو تسلط، ويسعى الجميع بما يليه من عمله، فهو الذي يرفعه أو يوبقه.

تنمية مفهوم الحريات: صدح القرآن الكريم بقضايا الحريات حقًّا إنسانيًّا، وهو من الجوانب المعبرة عن سماحة الإسلام واحترامه خصوصيات الناس، وهي حرية منضبطة بالمسؤولية الفردية وحقوق الآخرين،[3] حرية ترشد في فكرها لهدي الدين وقواعده، فالمسلم تفكيره ذو حدود لا يمكن تجاوزها،[4] يقرر الإسلام حرية الفكر والتفكير ويحض

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص10.

[2] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط2، 1369هـ) ج1، ص69.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، ص255.

[4] يُنظر: المرجع نفسه، ص270.

الناس على التأمل والبحث واستجلاء الحقائق والنظر إلى ما وراء الأشياء إلى غايتها؛ لذا نرى دعوة القرآن إلى التفكر في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم وفيما حولهم مما تقع عليه أبصارهم، أو تسمعه آذانهم، ليصلوا من رواء ذلك كله إلى معرفة الخالق وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال، وفي القرآن الكريم أدلة كثيرة تحث على التأمل والتدبر والتفكر، من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 20، 21)، وقوله ﷻ: ﴿قُل إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أن تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إلا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ: 46)، ومن ثم للإنسان حرية المعتقد إن شاء آمن وإن شاء كفر مع أن الله لا يرضى لعباده الكفر، هذا وقد وضع الإسلام ضوابط للحرية لا تخرج عن إطار القيم والفضائل والأخلاق وحقوق الآخرين والمصالح العامة للناس، وقد كفل ﷺ لليهود حرية المعتقد والتعبد، ولم يحمل أي كائن على اعتناق الإسلام كرهًا، بل ترك له حرية الاختيار امتثالاً لأمر الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وفق شروط الحرية المرتكزة بشكل أساس على المسؤولية، ومراعاة حقوق الآخرين، فالمجتمع المسلم ذو قيم وأخلاق، ولا يجوز للمسلم التفريط في الفرائض والواجبات الدينية، أو فساد الاعتقاد بحجة الحرية، فالحرية في الإسلام لها ضوابط شرعية محكمة هادفة لتنمية المجتمع وربطه بقيم الإسلام، فالإنسان حرٌّ في ممارساته بشرط أن يكون سيد نفسه، فلا تستبد به آراؤه أو تستعبده شهواته، وهو حرّ أيضًا في أن يمارس حريته على ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام وحق المجتمع، فالإنسان حر ولكنه في الوقت ذاته مسؤول عن خير المجتمع والصالح العام، وهكذا نجد أن الإسلام في تصوره للحرية فاق جميع المذاهب والأديان والفلسفات فلم يطلقها كالوجودية الملحدة والشيوعية، ولم يكبتها وإنما أطلقها في حدود لا تتعارض مع خير الفرد والمجتمع، وكان من ثمار هذه الحرية اعتقادًا وفكرًا وقولاً الإنجازات العلمية الكبرى في جميع ميادين المعرفة التي تحققت على أيدي المسلمين منذ بذوق فجر الإسلام.

تنمية مهارات إدارة الفرص والمخاطر والتحديات: المجتمع المسلم في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام كان بداية دين أقلية في مكة بين ظهراني قريش، ومن ثم صار دين غالبية، وسط أقلية غير مسلمة في دولة النبي ﷺ بالمدينة المنورة، فالتنمية البشرية في فترة مكة كانت معالمها منصبَّة على مواجهات المتغيرات التي كانت في أوج نشاطها، ومن ثم المحافظة على مكتسبات الطائفة المسلمة التي لا يتخطى عدد أفرادها الأربعين، وانبنت مفاهيم دولة الرشد على مبدأ النظم المجتمعية الإسلامية المتكاملة التي صُبغت به المجتمعات الإنسانية بعيدًا عن أهواء البشر وعصبياتهم التي أفسدت نظام الحياة وجعلت موازين المجتمع وفق الطبقية في المادة والعرق، وهو ما يمثل أنموذجًا من أنموذجات الجاهلية المعاصرة التي ركزت في معالجة القضايا المجتمعية على مفهوم المادية وأهملت الأبعاد الإنسانية وأفقدت النظام الاجتماعي أفضل ما يملك من طاقات وأفكار هادفة في إسعاد الناس، ولعل هذا التنظير يتأطر في مفصلات البعد الاجتماعي في مفهوم دولة الفضيلة في معية الفكر الإسلامي، فانجلت ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن ثم انبنت إدارة الفرص والتحديات التنموية في الإسلام على مبدأ الأمل وحسن الظن في الله ﷻ ورجائه وهو مبعث طمأنينة القلب؛ إذ يربي الإيمانُ القلبَ على نفسية قائمة على الثقة بالله[1] والاعتماد عليه والتوجه إليه في كل حال وعلى كل حال، قال ﷻ: ﴿فَفِرُّوا إلى الله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: 50)، فلا سبيل لليأس والقنوط، أمر المؤمن كله خير، والجلد والثقة حتى يأتيه نصر الله وهو مطلع عليه، يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 158).

وقد ضرب الأنبياء أنموذجًا في إدارة الأزمات ومواجهة التحديات، فكانوا أكثر الناس ثباتًا وصبرًا في الشدائد، فقد قابل النبي ﷺ تَعَنُّت قريش واليهود والمنافقين على مَرِّ

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1393هـ/1973م) ج1، ص75.

عمر الرسالة بالصبر والمثابرة، وربى أصحابه على ذلك أحيانًا بالتحفيز، وأحيانًا بالحزم، وأحيانًا بفتح باب الأمل، كقصة عمر بن الخطاب ﷺ في صلح الحديبية، بقوله: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على الدين فقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله برأيي أجتهد والله ما آلو ذلك يوم أبي جندل والكتاب يكتب فقالوا: تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله وأبيت، فقال: «يا عمر، تراني قد رضيت وتأبى»"،[1] إذ بيَّن له ﷺ أنها ليست عمرة، بل فتح مبين، بعد أن أصاب الصحابة حزنٌ لِمَا رأوه من بنود صلح الحديبية، وقوله ﷺ لخباب بن الأرت: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله»،[2] فهذه العقيدة تعطي صاحبها صفات نفسية عامرة كريمة بغير حدود من هذه الصفات الجراءة والشجاعة والبسالة النادرة، والشجاعة في ميادين الحياة المختلفة، وضبط السلوك المجتمعي البشري، عن أبي أمامة قال إن فتى شابًّا أتى النبي ﷺ، فقال: "يا رسول الله ائذن لي بالزنا"، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: "مه،

---

[1] يُنظر: المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ/1981م) ج1، ص372، وأسنده للبزار؛ ويُنظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج3، ص438. كما ورد عن سهل بن حنيف ﷺ يوم صَفِّين: «اتَّهموا رأيَكُم، والله لقد رَأَيْتُنِي يوم أبي جَندل ولو أنِّي أستطيعُ أن أرُدَّ أمرَ رسول الله لرَدَدْتُهُ»، وإنَّما قال ذلك لِمَا عَرَض لهم فيه مِن الإشكالِ، وإنَّما نزلت سورةُ الفتح بعدما خالطهم الحزنُ والكآبةُ لشدَّة الإشكالِ عليهم والتِبَاسِ الأمرِ، ولكنَّهم سلمُوا وتركوا رأيَهم حتَّى نزل القرآنُ، فزال الإشكالُ والالتباسُ، وصار مثلُ ذلك أصلاً لمن بعدَهم، فالتَزَمَ التَّابعون في الصَّحابة سيرَتَهم مع النَّبيِّ ﷺ حتَّى فَقهُوا ونَالُوا ذَرْوَةَ الكمالِ في العُلوم الشَّرعيَّة»، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م)، ج1، ص144.

[2] **صحيح البخاري**، ج3، ص1398. وزاد في رواية: "والذئب على غنمه".

مه"، فقال: «ادنُ، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».[1]

لذا كله ضرب أصحاب العقائد أروع الأمثلة في الاستقامة والقدوة في حمل الشعوب على الهداية ونبذ الانحراف ومداواة النفوس، إن الأمل الذي تدعو له عقيدة الإسلام هو الأمل في الله ﷻ، وهو أمل يدخل في حيثيات الحياة الاجتماعية، مما يزهر نجاحها وفلاحها، ويحفزها على البذل والعطاء؛ إن تنمية الذات من صميم دعوة الله ﷻ، ومن فوائد الأمل الصبر وتجربة الابتلاء الذي رسمه ﷻ على قلوب الأحياء لحكمة يعلمها علام الغيوب، فهو الذي يبتلي ويعين على الصبر على البلاء ويجزي على كله خير الجزاء فيا رب ما أكرمك، وما أحلمك، وما أعظمك وهو نفسه تقدس في علاه في معية الصابرين؛ قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46).

خاتمة

مفهوم التنمية البشرية في الإسلام مفهومٌ باحث في سبل تطوير الذات البشرية استنادًا إلى أسس العلم والمعرفة، لتحقيق أسمى غايات التنمية وأهدافها والمتمثلة في:

- نشر الفضيلة وتطبيقاتها على واقع المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والمبنية على مفهوم العدل والتراحم والإخاء والمودة، وهذه هي مكارم الأخلاق قولاً وعملاً.

[1] **مسند أحمد**، ج36، ص545.

– الوقوف على وقائع المنهج التطبيقي في مسائل التنمية البشرية من خلال السُّنَّة التي تجَسَّدَت في دولته ﷺ التي اعتنت أولا بتنمية الفكر، وربطه بغاية الخلق المتمثلة في عبادة الله ﷻ، مما يقوي محفزات النهوض وإسعاد البشرية بنور الإسلام، قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

– أوجد الحديث الشريف قواعد تأصيلية في بناء تنمية البشر أسهمت في قضايا النهوض والتمدن، ومن أهمها: التعليم والمعرفة، والتخصصية، والولاء، والمثابرة، والأخوة، والتسامح، والغيرة... إلخ.

– بيان أوجه تكامل التنمية البشرية من منظور إسلامي، روحيًّا وبدنيًّا، مستمدة من فطرية الإنسان، وهادفة إلى تحقيق السعادة والرفاهية والاستفادة من التجارب في التنمية البشرية التي قطعت شوطًا ملموسًا في سبيل تنمية البشر وتوفير أساسيات الحياة من تعليم وصحة... إلخ.

– واقع الأمة من التنمية البشرية أضحى بائسًا، ويدل على قصر فكر منسوبيها واستحضار أسس الجاهلية البغيضة، التي لوثت أفكار الأمم والشعوب المسلمة، وأخذ كل مِنَّا فيها بنصيب قلَّ أو كثُر، مع التذكير بسنة الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلوْا يَسْتَبْدِل قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالكُمْ﴾ (محمد: 38).

إن واقع الأمة الضعيف أشبه بواقع التيه الذي عاشه اليهود أربعين سنة لِمَا أضاعوا من هدي السبيل الذي رسمه لهم الخالق ﷻ، وهذا الوهن والضعف في واقع المسلمين تيهٌ فكري أذاق الأمة التخلف والتبعية في جميع مناحي الحياة، ولن تصلح حال الأمة بغير هديها المستمد من نور الإسلام وخصائصه التي تعني الوسطية، والشمول، والهيمنة، والخلود والعالمية، وهذا ما يمثل أبعاد الطرح الإسلامي في بناء روح الجماعة وتعميقها بتعميق معاني التفاني والتضحية في سبيل سياسة الناس، وهذا بدوره في حاجة إلى بناء أخوة بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد وحدة الأمة وإبراز قواعد الإسلام أنموذجًا في هداية البشرية، ويتأطر كل ذلك بتبني الدستور الإسلامي في سياسة

الناس وفق أسس المواطنة والإصلاح الاجتماعي؛ إن الأمة الإسلامية في حاجة إلى التنمية البشرية للنهوض بأمانة التكليف، وتَحَمُّلُ الرسالة وتبليغها، والصبر على المشقة والأذى فيها، وتربية أفراد المسلمين على القيم الإسلامية في التعريف بدينه ﷻ، واحترام حقوق الأقليات غير المسلمة والإحسان إليهم، وتقديم أنموذج إسلامي رفيع قوامه العقلية المتقدة والعاطفة الجياشة.

المراجع: References:

Abū Ḥātim, Muḥammad bin Ḥibbān bin Aḥmad, *Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān bi Tartīb Ibn Bulbān*, ed. Shu'ayb al-Arna'ūṭ, (Beirut: Mua'ssasah al-Risālah, 2nd Edition, 1993).

Abū al-Faraj, 'Abd al-Raḥman bin 'Alī bin Muḥammad, *Ṣafwah al- Ṣafwah*, ed. Muḥammad Fahūrī and Muḥammad Rawwās Qal'ah Jī, (Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2nd Edition, 1979).

Abū Dawud, Sulaymān bin al-Ash'ath al-Sajastānī al-Azdī, *Sunan Abī Dawud*, (Beirut: Dār al-Fikr, no date).

Al-Sa'dī, Abū Qāsim 'Alī bin Ja'far, *Kitāb al-Af'āl*, (Beirut: Ālam al-Kutub, 1st Edition, 1983).

Abū Madj, Aḥmad Kamāl, *Ru'yah Islāmiyyah Mu'āṣirah: I'lān Mabādi'*, (Cairo: Dār al-Shurūq, 1991).

Al-Bayhaqī, Aḥmad bin Ḥusayn bin 'Alī, *al-Sunan al-Kubrā*, ed. Muḥammad 'Abd al-Qādir 'Aṭā, (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 3rd Edition, 2003).

Al-Bukhāri, Muḥammad bin Ismā'īl bin Ibrāhīm bin al-Mughīrah, *al-Adab al-Mufrad*, ed. Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, (Beirut: Dār al-Bashā'ir al-Islāmiyyah, 3rd Edition, 1989).

Al-Bukhāri, Muḥammad bin Ismā'īl, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, ed. Muṣṭafā Dīb al-Bughā, (Beirut: Dār Ibn Kathīr, 3rd Edition, 1994).

Al-Ghazālī, Muḥammad, *Turāthuna al-Fikrī fī Mīzān al-Shar' wa al-'Aql*, (Cairo: Dār al-Shurūq, 1st Edition, 1991).

Al-Haythami, Nur al-Dīn bin 'Alī bin Abi Bakr, *Majma' al-Zawā'id wa Manba' al-Fawā'id*, (Beirut: Dar al-Fikr, 1991).

Al-Nīsābūrī Muslim bin al-Ḥajjaj Abū al-Husayn al-Qushayrī, *Ṣahīh Muslim*, ed. Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Baqī, (Beirut: Dār al-Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, no date).

Al-Munāwī, 'Abd al-Ra'ūf Muḥammad, *al-Tawqīf 'alā Mahammāt al-Ta'ārīf, ed. Muḥammad Riḍwān al-Dāyah*, (Beirut: Damascus: Dār al-Fikr al-Mu'āsir, Dār al-Fikr, 1st Edition, 1989).

Al-Quḍā'ī, Muḥammad bin Salāma bin Ja'far Abū 'Abd Allāh, *Musnad al-Shihāb*, ed. Ḥamdī bin 'Abd al-Majīd al-Salafī, (Beirut: Mua'ssasah al-Risālah, 2nd Edition, 1986).

Al-Tirmīdhī, Muḥammad bin ‘Īsā, *al-Jāmi‘ al-Ṣaḥīḥ Sunan al- Tirmīdhī*, ed. Aḥmad Shākir et al.,, (Beirut: Dār al-Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, no date).

Al-Ṭabranī, Sulaymān bin Aḥmad bin Ayyūb Abū Qāsim, *al-Mu‘jam al-Kabīr*, ed. Ḥamdī al-Salafī, (Mosul: Maktabah al-‘Ulum wa al-Ḥikam, 1983).

Al-Waqfī, Ibrāhīm Aḥmad, *al-Samāḥah fī al-Islām wa al-Masīḥiyyah*, (Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī, no date).

Al-Zarkashī, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur, *al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qurān*, ed. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (Beirut: Dār al-Ma‘rifah, 1971).

Al-Zubaydī, Muḥammad bin Muḥammad bin ‘Abd Razzāq al-Husaynī, *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*, Jam‘un min al-Muḥaqqiqīn, (No place: āyah, no date).

Ibn Ḥajar, Aḥmad bin ‘Alī bin Ḥajar Abū Fadl al-‘Asqālānī,*al-Iṣābah fī Tamyīz al-Ṣaḥābah*, ed. ‘Alī Muḥammad al-Bajawī, (Beirut: Dār al-Jīl, 1st Edition, 1991).

Ibn Ḥanbal, Aḥmad bin Ḥanbal Abū ‘Abd Allāh al, *Musnad al-Imām Aḥmad ibn Hanbal*, (Cairo: Mua‘ssasah Qutūbah, no date).

Ibn Athīr, Madj al-Dīn Abū al-Sa‘ādāt al-Mubārak bin Muḥammad al-Jazarī, *al-Nihāyah fī Gharīb al-Hadīth wa al-Athar*, ed. Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, (Beirut: al-Maktabah al-‘Ilmiyyah, 1979).

Ibn Fāris, Aḥmad bin Fāris bin Zakariyyā, *Maqāyīs al-Lughah*, ed. ‘Abd al-Salām Muḥammad Muḥammad Hārūn, (Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab, 2002).

Ibn Mājah, Muḥammad bin Yazīd Abū ‘Abd Allāh al-Qazwīnī, *Sunan Ibn Majah*, ed. Muḥammad Fu‘ād ‘Abd al-Bāqī, (Beirut: Dār al-Fikr, no date).

Ibn Manẓūr, Muḥammad bin Mukarram al-Ifrīqī al-Misrī, *Lisān al-‘Arab*, (Beirut: Dār Ṣādir, 1st Edition, no date).

Ibn ‘Abd al-Barr, Yūsuf bin ‘Abd Allāh al-Namirī Abū ‘Umar, *al-Tamhīd lima fī al-Muwaṭṭa’ min al-Ma‘ānī wa al-Asānīd*, ed. Muṣtafā bin Aḥmad al-‘Alwī, Muḥammad ‘Abd al-Kabīr al-Bakr, (Morocco: Wizārah ‘Umūm al-Awqāf wa al-Shu‘ūn al-Islāmiyyah, 1967).

Ibn Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr Abū ‘Abd Allāh, *Hidāyat al-Ḥayārā fī Ajwibah al-Yahūd wa al-Naṣārā*, (Medina: al-Jāmi‘ah al-Islāmiyyah, no date).

Ibn Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr Ayyūb al-Zur‘ī, *Madārik al-Sālikīn baina Manāzil Iyyāka Na‘budu wa Iyyāka Nasta‘īn*, ed. Muḥammad Ḥāmid al-Faqī (Beirut: Dar al-Kitāb al-‘Arabī, 2nd Edition, 1973).

Ibn Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr Ayyūb al-Zar‘ī, *Miftāḥ Dār al-Sa‘ādah wa Manshūr Wilāyah al-‘Ilm wa al-Irādah*, (Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, no date).

Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ‘Abd al-Ḥalīm bin Taymiyyah al-Ḥarrānī, *Minhāj al-Sunnah al-Nabawiyyah*, ed. Muḥammad Rashād Sālim, (Cairo: Mu‘assasah Qurtubah, 1st Edition, 1985).

Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ‘Abd al-Ḥalīm bin Taymiyyah, *Iqtiḍā’ al-Ṣirāṭ al-Mustaqīm Mukhālafah Aṣḥāb al-Jaḥīm*, ed. Muḥammad Ḥāmid al-Fiqī, (Cairo: Maṭba‘ah al-Sunnah al-Muḥammadiyyah, 2nd Edition, 1949).

Al-Aṣbuḥī, Malik bin Anas, *Al-Muwaṭṭa’ al-Imām al-Malik*, ed. Taqiyy al-Dīn al-Nadawī, (Damacus: Dār al-Qalam, 1st Edition, 1991).

Al-Zuḥaylī, Muḥammad, *al-Naẓariyyāt al-Fiqhiyyah*, (Beirut: Dār al-Qalam, 1st Edition, 1993).

al-Rāzī, Muḥammad bin Abī Bakr bin ‘Abd al-Qādir, *Muktār al-Ṣiḥaḥ*, ed. Maḥmūd Khāṭir, (Beirut: al-Ṭab‘ah Ṭab‘ah Jadīdah, 1995).

‘Umar ‘Ubayd Ḥasanah, *Rūh al-Ḥaḍārah al-Islāmiyyah li al-Shaykh Muḥammad al-Fāḍil bin ‘Ashūr*, (USA: al-Ma‘had al-‘Ālī li al-Fikr al-Islāmī, 2nd Edition, 1992).

Qutub, Sayyid, *Fī Ẓilāl al-Qurān*, (Cairo: Dār al-Shurūq, 32nd Edition, 2003).

Shahrūr, Muḥammad, *Dirāsāt Islāmiyyah Mu‘āṣirah fī Mujtama‘*, (Damascus: Al-Ahālī li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, 1st Edition, 1994).

Shīkūnī, Angelo, *Aflatūn wa la-Faḍīlah*, translated by Munīr Saghbīnī, (Beirut: Dār al-Jīl, 1986).